المحاضرة الثانية: أساسيات المقاولاتية

مقدمة:

أصبح موضوع المقاولاتية يحتل حيزا كبيرا من اهتمامات الحكومات والعديد من الدول، خاصّة مع تزايد المكانة التي أصبحت تحتلها المشاريع الصغيرة في اقتصاديات مختلف هذه الدول مهما كان مستوى تطوّرها، والدور الذي باتت تلعبه في مختلف برامج التنمية المستقبلية والاستراتيجية. وللمقاولاتية أهمية كبيرة حيث لا يقتصر دورها في خلق الثروة والرفع من مستويات الإنتاج وزيادة العائدات الناتجة عن نشاط المؤسسات الجديدة التي يتم إنشائها فحسب، بل يتعداه ليشمل تجديد وتنويع النسيج الاقتصادي من خلال تعويض المؤسسات الفاشلة وإعادة التوازن للأسواق إضافةً إلى دورها الكبير في تشجيع الابتكار وخلق فرص العمل.

1. نشأة مفهـوم المقاولاتيــة:

إنّ هذا المصطلح قديم استعمل أول مرّة في بداية القرن السادس عشر في اللغة الفرنسية في كلمة *(Entrepreneuriat)* والمشتقة من الانجليزية *(Entreneurship)* والتي تعني ريادة الأعمال في بعض المصادر والمراجع، وهي ترتكز على إنشاء أو تنمية أنشطة ما، وقد تضمن المفهوم آنذاك المخاطرة وتحمل الصعاب التي رافقت حملات الاستكشاف العسكرية، وبقي هذا المفهوم في نفس السياق على الرغم من شموله للأعمال التي تحمل روح المخـاطرة خـارج الحمـلات العسـكرية كالأعمـال الهندسـية وبناء الجسور.

قام علماء الإدارة الأوائل بترجمة المصطلح إلى "منظم"، لكونهم ركّزوا على مهارته في التنظيم، وفي إنشاء مؤسسة، في السبعينيات – من القرن الماضي-، وبعد تدفق النفط وتصاعد نشاطات إقامة المشاريع الكبرى، غيّر العلماء الترجمة إلى "مقاول"، والسبب هو أن فئة المقاولين كانت هي الفئة التي أظهرت على استعدادات خاصة ؛ فقد يقرر شاب مهندس حديث التخرج (أو شاب محدود التعليم)، بأنه لن يعمل كموظف لدى الآخرين بل لحسابه الخاص، فقد يبدأ المهندس بالحصول على مقاولة بناء، كما قد يبدأ الشاب محدود التعليم بالحصول على مقاولة لتجهيز مواد البناء، وبعد صفقة أو صفقتين يقرّر كل منهما تأسيس شركة مقاولات أو شركة تجهيز مواد البناء، وينجحون في توفير مقومات البقاء لها، أي أنها تبقى حتى إذا قرّر أي منهم تركها، فأشخاص كهؤلاء ينجحون في إقامة هذه الشركات لأنهم يتمتعون بمجموعة من المؤهلات، منها أنهم يملكون قدرات إبداعية ونزعة

للاستقلالية كما يملكون الاستعداد للمخاطرة المحسوبة، ولهم أيضا اهتمامات تجارية ومهارات في إقامة منظمة ناجحة.

منذ التسعينات - من القرن الماضي- أدرك العلماء أن هذه الاستعدادات غير محصورة في المقاولين فقط إنما هم جزء من عالم أشمل، فقد نجح الكثير من الشباب والشابات الذي أقاموا شركات لتقديم خدمات حاسوب أو تجارة الهواتف النقالة وخدمات الإنترنت، أو متاجر ملابس أو أغذية...وغيرها، أقاموا شركات صغيرة، حوّلوها خلال مدة قصيرة إلى شركات كبيرة، وأحيانا عملاقة، لذلك تمّ تغيير الترجمة مرة أخرى إلى "ريادي".

2. تعريف المقاولاتية:

لا يوجد إجماع حول نظرية المقاولاتية، وكذلك حول تحديد مفهومها ومع ذلك، فإن أغلب التعريفات حسب *Hisrich* و *Peters (1991)* تتفق في تعريفها على أنها: "نوع من السلوك يتمثل في السعي نحو الابتكار، تنظيم وإعادة تنظيم الآليات الاقتصادية والاجتماعية من أجل استغلال موارد وحالات معينة، تحمّل المخاطرة وقبول الفشل، إنه مسار يعمل على خلق شيء ما مختلف والحصول على قيمة بتخصيص الوقت والعمل الضروري، مع تحمّل الأخطار المالية، النفسية والاجتماعية المصاحبة لذلك، والحصول على نتائج في شكل رضا مالي وشخصي".

وفي بحثه حول نمذجة ظاهرة المقاولاتية، توصّل *Verstratete (2001)* إلى أنّ ظاهرة المقاولاتية هي عبارة عن تواصل بين مقاول ومنظمة مُحرَكة من طرفه، وقد ميّزها بثلاثة أبعاد؛ بُعد معرفي، تنسيقي وهيكلي.

- **البعد المعرفي**: حسب الباحث هو نتيجة رؤية مقاولاتية عند المقاول وتتميز بفكر استراتيجي. يفسر أيضا بسرعة رد الفعل (قدرة الفرد على ترجمة الأحداث، فهم ما يجب فعله من خلال ما حدث)، والتعلم (نتيجة التجربة السابقة والحالية، معارف، استعدادات، حالات الخضوع لتأثير الميولات، الانفعالات، لكن أيضا مجموعة المعارف المكتسبة اللازمة للفرد).

- **البعد التنسيقي**: الناتج عن الفعل المقاولاتي والذي يقود المقاول للتموقع مقابل العديد من المتعاملين من مختلف الطبقات الاجتماعية حيث يقوم معهم بالتحكم في الشكل المنظماتي.

- **البعد الهيكلي:** الذي يهتم بالإدماج المقاولاتي، وهذه الصورة تضع المقاول ومنظمته في ارتباط وطيد وتحدّد ما هو المدى الذي يؤثر فيه هذا الارتباط بشكل مهم على المنظمة ومنشئها.

3. أهم المقاربات الحديثة في مجال المقاولاتية:

1.3. المقاولاتية ظاهرة تنظيمية: اعتبر رواد هذا الاتجاه أنّ المقاولاتية هي إيجاد منظمة أو مؤسسة جديدة، وأشهر رواده وليام كرتنر *Gartner (1988) William* حيث يرى أنّ: "المقاولاتية هي عملية إنشاء منظمة جديدة"، فحسب هذا الاتجاه تشمل المقاولاتية "مجموع الأعمال التي يقوم من خلالها المقاول بتجنيد وتنسيق الموارد المختلفة من معلومات وموارد مالية وبشرية، ....وغيرها، وذلك من أجل تجسيد فكرة في شكل مشروع مهيكل وأن يكون قادرا على التحكّم في تغيير طريقة النشاط ومسايرته لأنشطة مقاولاتية جديدة"، ويرى (ألان فايول) أنّ التعاريف السابقة لم تتناول ما تطرّق إليه التعريف الذي جاء به *(Gartner)* مع بداية التسعينات من القرن الماضي، حيث يرى أنّ نموذج المقاولاتية يتكون من مجموع الأنشطة التي تسمح بإنشاء مؤسسة جديدة، والتي تتمثل في البحث عن الفرص، تجميع الموارد، تصميم المنتج موضوع الفكرة، إنتاج المنتج، تحمّل المسؤولية اتجاه الاقتصاد والأفراد.

كما عرّف دولنق *Dollin (1995)* المقاولاتية بأنها "عملية خلق منظمة اقتصادية مبدعة من أجل تحقيق الربح أو النمو تحت ظروف المخاطرة وعدم التأكد والاستفادة من فرص جديدة عامة" .

2.3.المقاولاتية استغلال للفرص: مع مطلع التسعينيات من القرن العشرين ظهر تعريف المقاولاتية على سيرورة تحويل الفرص إلى انطلاق الأعمال، " فالمقاولاتية كمجال بحث، يتمثل البحث عن فهم كيف يتم اكتشاف الفرص لإنتاج مواد وخدمات لا توجد حاليا ويتم تحقيقها واستغلالها؟ ومن طرف من؟ وما هي آثار ذلك؟ ." و أهم رواد هذا الاتجاه *Shane* و *Venkatarman (2000)* يعرفان المقاولاتية بأنها " العملية التي يتم من خلالها اكتشاف وتثمين الفرص التي تسمح بخلق منتجات وخدمات مستقبلية".

3.3.المقاولاتية من منظور خلق القيمة: حسب هذا الاتجاه تتمحور المقاولاتية حول الفرد والقيمة التي أنتجها، وهذه الثنائية (فرد، قيمة) عبارة عن مبدأ اقترح من طرف *(Morin)* يندرج ضمن ديناميكية للتغيير ويعرّف من منظورين هما:

- **المنظور الأول:** ينطلق من الفرد ويعتبره الشرط الأساسي في خلق القيم فهو العامل الرئيسي في الثنائية إذ يقوم بتحديد طرق الإنتاج، وبالتالي المقاول هو ذلك الشخص أو المجموعة التي هي بصدد خلق قيمة كإنشاء مؤسسة جديدة، ولولاه لما يمكن لهذه القيمة أن تتحقق .

- **المنظور الثاني:** يعتبر أن خلق القيمة من خلال المؤسسة التي أنشأها هذا الفرد، تؤدي إلى جعل هذا الأخير مرتبطاً بالمشروع المقاولاتي لدرجة أنّه يُصبح معرفا به، وتحتل القيمة مكانة كبيرة في حياته، إذ تدفع المقاول لتعلّم أشياء جديدة، وهي قادرة على تغيير صفاته وقيمه، فعند قيام الفرد بإنشاء مؤسسة أو تقديم ابتكار فإنه يصبح ملزما بالمشروع الذي أقامه، أما عن القيمة المقدمة فهي تتمثل في مجموع النتائج التقنية، المالية والشخصية التي تقدمها المؤسسة والتي تولّد رضا المقاول والأطراف الفاعلة التي تتعامل معه.

لقد تطوّر مفهوم المقاولاتية وأصبح يأخذ أكثر من صورة ودلالة، حيث يرى *(Fayolle Alain)* أنّ هذه الظاهرة يمكن أن تأخذ الأشكال التالية :

- إنشاء مؤسسة أو نشاط من طرف أفراد مستقلين أو من طرف مؤسسات.
- استعادة نشاط أو مؤسسة، تكون في وضع جيد (سليمة) أو تواجه صعوبات من طرف أفراد مستقلين أو من طرف مؤسسات.
- تطوير وإدارة بعض المشاريع (التي في خطر) في المؤسسات.
- القيام بتسيير بعض الوظائف أو المسؤوليات داخل المؤسسات.

4.3. المقاولاتية من منظور الابتكار: يعتبر بعض الاقتصاديين أنّ المقاولاتية هي حلقة ضائعة بين الفكرة وتجسيد الفكرة، فقد ركّز (شومبيتر) من خلال نظريته " التفكيك الخلاق" على دور الابتكار في العملية المقاولاتية، رغم أنّه لا يوجد إجماع حول مفهومه، إلاّ أنّ هناك مفهوماً ضيقاً ومفهوماً واسعاً للابتكار، فالمفهوم الضيق يُعرّف الابتكار على أنه مرتبط بالجوانب التكنولوجية، والعيب في هذا المنظور هو تضييق صور ونماذج المقاولاتية، لأنّ القليل من المقاولين فقط يمكن ربطهم بهذا التعريف الضيق للابتكار.

4. أهمية المقاولاتية:

إنّ الاهتمام الكبير بالمقاولاتية يعكس الأهمية البالغة التي يمكن التي تتميّز بها هذه الظاهرة، وذلك من خلال الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي تخلقها، فالمقاولاتية تتسم بدعمها للتنمية الاقتصادية والاستقرار الاجتماعي، من خلال الأدوار التي تلعبها، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

1.4. الآثار الاقتصادية:

- رفع مستوى الإنتاجية في جميع الأعمال والأنشطة.
- خلق فرص عمل جديدة.
- الإسهام في تنويع الإنتاج نظرا لتباين مجالات الإبداع لدى المقاولين.
- نقل التكنولوجيا.
- التجديد وإعادة الهيكلة في المشاريع الاقتصادية وتنميتها وتطويرها.
- إيجاد أسواق جديدة.
- زيادة القدرة على المنافسة.
- المساهمة في النمو السليم للاقتصاد.
- توجيه الأنشطة للمناطق التنموية المستهدفة.

2.4. على المستوى الاجتماعي:

- عدالة التنمية الاجتماعية وتوزيع الثروة.
- امتصاص البطالة وتأمين فرص العمل.
- المساهمة في تشغيل المرأة.
- الحد من النزوح الريفي نحو المدن.

5. المصطلحات ذات العلاقة بالمقاولاتية: يضم الحقل المُعجمي لكلمة "المقاولاتية" العديد من المصطلحات ذات العلاقة نورد فيما يلي بعضاً منها:

1.5. الثقافة المقاولاتية: هي مُجمل المهارات والمعلومات المكتسبة من فرد أو مجموعة أفراد، ومحاولة استغلالها وذلك بتطبيقها في الاستثمار في رؤوس الأموال بإيجاد أفكار مبتكرة، وهي تتضمن التصرفات، التحفيز، ردود أفعال المقاولين، بالإضافة إلى التخطيط، اتخاذ القرارات، التنظيم والرقابة، وتَرسَخ هذه الثقافة من خلال ثلاث فضاءات مهمة هي: العائلة، المدرسة والمؤسسة.

ويمكن تقسيم الثقافة المقاولاتية إلى ثلاث عناصر هي:

- **المُسبّقات**: وهي مجموع المعارف المتقاسمة بواسطة الأفراد، والتي يكتسبها الفرد من محيطه، وتساعد على ظهور الاستعدادات عند الأفراد.

- **الاستعدادات**: وهي مجموع الخصائص النفسية ، المواقف والقيم التي تظهر عند المقاول (المواقف، الإبداع، الشعور بالمسؤولية، الثقة بالنفس، التضامن، الريادة،....).

- **مهارات الخبرة والمعرفة**: ومدى حسن التصرّف مع الآخرين خاصّة في العملية المقــاولاتية.

وتتمثل أهمية ترقية ثقافة المقاولاتية فيما يلي:

- ✓ جعل المقاولاتية خيارا مرغوبا في المسار المهني خاصة لأولئك الذين لديهم مهارات وقدرات خاصة وغير عادية.
- ✓ استدراك التأخر في خلق المؤسسات مقارنة ببلدان أخرى.
- ✓ تثمين الثروات الاقتصادية خاصة البشرية، واستغلالها لخلق الثروة.
- ✓ تحفيز التنافسية، الابداع والابتكار من أجل زيادة الإنتاجية والنمو الاقتصادي.
- ✓ تحسين قدرة الأفراد على التأقلم والاستجابة للتغيرات السريعة التي أصبح يعيشها العالم في شتى المجالات.

ويندرج ضمن الثقافة المقاولاتية عامل التعليم عبر مختلف الأطوار، حيث يعتبر محورا أساسيا في تنمية المقاولاتية وتطوير المهارات والسّمات العامّة لها، لذلك لابد من استثمار دور التعليم في تنمية روح المقاولاتية في سن مبكر، من أجل اكتشاف قدرات ومميزات الأشخاص القادرين على القيام بالعملية المقاولاتية.

2.5. الروح المقاولاتية:

تُعرّف الروح المقاولاتية على أنّها "الميزة التي تجعل الأفراد أكثر ارتباطا بالمبادرة والنشاط، فالأفراد الذين يملكون روح المقاولة لديهم إرادة تجريب أشياء جديدة لم تكن سابقا، والقيام بأشياء بطريقة تختلف عمّا هو مألوف بفضل تميزهم بقدرات وإمكانيات للتغير. وليس بالضرورة أن يكون لهؤلاء الأفراد رغبة في إنشاء مؤسسة، أو تكوين مسار مهني مقاولاتي، لأنّ هدفهم يسعى لتطوير قدرات خاصة للتماشي والتكيّف مع التغيير"، وهناك من يرى أن روح المقاولاتية تتجسد في تحديد الفرص وجمع الموارد اللازمة والمختلفة من أجل تحويلها إلى مشروع مقاولاتي.